الشفاعة معناها وأنواعها
ومذاهب العلماء فيها

إعداد الدكتور
سعيد عبد الحميد علي الهواري
أستاذ العقيدة والفلسفة
وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين – دمياط الجديدة – جامعة الأزهر

الدكتور
أشرف أحمد محمد عماشة
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين – دمياط الجديدة – جامعة الأزهر

الشفاعة معناها وأنواعها ومذاهب العلماء فيها

سعيد عبدالحميد علي الهواري .
قسم العقيدة والفلسفة، الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط، جامعة الأزهر الشريف، مصر.
البريد الإلكتروني: drsaeid2010@yahoo.com
أشرف محمد أحمد عماشة.
قسم العقيدة والفلسفة، الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط، جامعة الأزهر الشريف، مصر.
البريد الإلكتروني : AshrafAmmash@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

مسألة الشفاعة والإيمان بها من الأمور الغيبية التي تتعلق باليوم الآخر ، وتعد من أهم معتقدات أهل السنة والجماعة ، وفي معرفتها والإيمان بها رد علي كثير من الفرق المخالفة، وقد ثبت أن الشفاعة مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع ومشفوع له، ومشفوع إليه كما ورد عن علماء الكلام ، وأنواع الشفاعات يوم القيامة وقع فيها الخلاف ، ولعل السبب الأساسي في اختلافهم كما يعتقد البعض عدم وجود الدليل القطعي الواضح في نوع الشفاعة، وغالبية من عدَّ أنواع الشفاعات إنما قصرها على شفاعات النبي محمد ﷺ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين، فترى أحدهم يزيد على الآخر بحسب ما يتوصل إليه اجتهاده على أنها من أنواع الشفاعات الأخروية ، وكذلك وقع الاختلاف بين العلماء في شفاعة مرتكب الكبيرة فذهب المعتزلة إلي القول بعدم جواز العفو عن مرتكب الكبيرة فهو يستحق العقاب علي الدوام ، ولا يجوز الخلف في الوعد كما لا يجوز الخلف في الوعيد ، وأن الشفاعة لمرتكب الكبيرة هي فتح لباب الجرأة علي الذنوب، ووجدنا هذه المسألة عند أهل السنة الأشاعرة والماتريدية مبنية علي الحكم

بأن مرتكب الكبيرة مؤمن ويرجي له النجاة ولا يدخلون النار بل يدخلون الجنة وإن دخلوا النار يخرجون منها بشفاعة شفيع ويجوز العفو عنه بدون التوبة أو بالشفاعة فمن باب أولي جواز العفو عنه بشفاعة النبي ﷺ فالمسألة تنبني علي جواز العفو عن مرتكب الكبيرة فكما أن الله عز وجل له أن يعفو ويغفر من غير واسطة توبة فأولي أن يعفو ويغفر بشفاعة الأنبياء عليهم السلام، وبشفاعة الأخيار والأبرار .

الكلمات المفتاحية: الشفاعة، المعتزلة ، أهل السنة ، الكبيرة ، العفو ، التوبة .

Intercession, its meaning, types, and reasons for obtaining it on the Day of Resurrection

Saeed Abdulhameed Ali Alhawari

Department of Creed and Philosophy, Islamic and Arabic Studies for Boys, Damietta - Al-Azhar University, Egypt.

Email : drsaeid2010@yahoo.com

Ashraf Ahmed Mohammed Amasha.

Department of Creed and Philosophy, Islamic and Arabic Studies for Boys, Damietta - Al-Azhar University, Egypt.

Email :AshrafAmmash@azhar.edu.eg

Abstract:

The issue of intercession and belief in it is one of the unseen matters related to the Last Day, and it is considered one of the most important beliefs of the Sunnis and the community. Knowing it and believing in it has refuted many of the dissenting sects. It has been proven that intercession is a request from others to benefit others or ward off harm on their behalf, and there must be an intercessor and an intercessor. For him, and an intercessor for him, as reported by theologians,Concerning the types of intercession on the Day of Resurrection, disagreement occurred, and perhaps the main reason for their disagreement, as some believe, is the lack of clear and definitive evidence regarding the type of intercession, and the majority of those enumerating the types of intercessions limited them to the intercessions of the Prophet Muhammad, peace be upon him, and the intercession of the angels, prophets, and believers, so you will see one of them increasing over the other according to what His diligence achieves itIt is one of the types of intercession in the afterlife. Likewise, there was disagreement among scholars regarding the

intercession of the one who committed a major sin. The Mu’tazilites went to say that it is not permissible to pardon the one who commits a major sin, as he always deserves punishment. It is not permissible to break a promise just as it is not permissible to break a threat. Intercession for the one who commits a major sin is an opening to the door. Daring to sin, and we found thisThe issue among the Ash'ari and Maturidite Sunnis is based on the ruling that the one who commits a major sin is a believer and is expected to be saved. They will not enter Hell, but rather enter Paradise, and if they enter Hell, they will exit from it with the intercession of an intercessor, and it is permissible to pardon him without repentance or with intercession. So, as a matter of priority, it is permissible to pardon him with the intercession of the Prophet, may God bless him and grant him peace. The issue is based on the permissibility of pardoning. About the perpetratorThe great one, just as God Almighty has the right to pardon and forgive without the intermediary of repentance, so it is more appropriate for Him to pardon and forgive through the intercession of the prophets, peace be upon them, and through the intercession of the good and the righteous

Keywords: intercession , Mu'tazilites , Sunnis ,the great forgiveness,.repentance .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن موضوع الشفاعة من المواضيع المهامة في باب العقيدة ، لذا فقد اعتنى به علماء أهل السنة قديما وحديثا، فتناولوه في ثنايا كتبهم، ومنهم من أفرد له مؤلفات خاصة، وما ذلك إلا إيمانا منهم بأهمية هذه القضية وخطورتها.

وأصل الشفاعة أمر تُقرُّ به الفرق الإسلامية بأجمعها، فالشفاعة أصل من أُصول الإسلام نطق به القرآن، وصرحت به سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن الاختلاف بين الفرق حول الشفاعة يبدو واضحاً في أنواع الشفاعة، وأكثر أنواع الشفاعة التي حدث حولها نزاع كبير بين الفرق هي الشفاعة لأهل الكبائر، فقد ضل في فهمها فرق كثيرة، مما كان له أثر كبير على الأمة واختلاف أفرادها، وما وقع بينهم من النزاع والشقاق بسبب ذلك.

فلم يكن خلاف الفرق الإسلامية في إثبات أصل الشفاعة، وإنما كان خلافهم يدور حول مَن تجري في حقه الشفاعة؟، هل تجري في حق العصاة والمذنبين من أهل الكبائر في الدنيا، فتُسقِط الشفاعةُ العقوبة تجاوزاً منه سبحانه؟، أو أنها تنال المؤمنين من أهل الطاعات والقُرُبات، فتكون سبباً لزيادة حسناتهم؟، وقد ذهب أهل السنة ومن تبعهم إلى الأول، وذهب إلى الثاني الخوارج والمعتزلة ومن سار على دربهم.

أهمية البحث:

لهذا البحث أهمية كبيرة، وتظهر أهميته فيما يلي:

أنه يبين لنا موقف الكلام من قضية الشفاعة لأهل الكبائر، فإنه غالبا ما يذكر موقف أهل السنة المثبتين للشفاعة في حق مرتكب الكبيرة، كما يذكر رأي المعتزلة

والخوارج، باعتبار أنهما يمثلان الاتجاه النافي أو المنكر للشفاعة في حق مرتكب الكبيرة.

أهداف البحث :

يهدف البحث لتوضيح عقيدة علماء الكلام في الشفاعة لمرتكب الكبيرة، وبيان أن منهم من أثبتها، ومنهم من أنكرها، فهم ليسوا علـــى رأي واحد في هذه المسألة، والبعض ممن أثبتها خصها لطائفة معينة دون طائفة أخرى.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يحتم علينا استخدام عدد من المناهج العلمية لبحث الموضوع، منها: المنهج التحليلي، والذي يظهر في ثنايا البحث عند تحليل الآراء وتوضيحها والوقوف على أبعاد كل رأي منها، والمنهج الوصفي وذلك من خلال عرض الآراء من مصادرها، والمنهج النقدي الذي يأتي عقيب كل فكرة أو رأي يحتاج إلى التعقيب عليه، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي يستخدم لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين مختلف الآراء،

خطة البحث:

قمت بترتيب البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم الشفاعة في اللغة والاصطلاح ، وأنواعها :.

المبحث الثاني: مذاهب العلماء فيها بين الاثبات والنفي .

ثم فهرسًا لأهم المصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن يكتب لنا الإخلاص والتوفيق والقبول

تمهيد

إن مسألة الشفاعة والإيمان بها من الأمور الغيبية التي تتعلق باليوم الآخر ، وتعد من أهم معتقدات أهل السنة والجماعة ، وفي معرفتها والإيمان بها رد علي كثير من الفرق المخالفة، ومن ثم فقد أدرج المتكلمون موضوع الشفاعة في كتب العقيدة فقلما يوجد عالم يؤلف في العقيدة كتابا إلا وقد عقد فصلا أو مبحثا في الشفاعة لكن قبل أن أعرض كل ذلك أود أن أبين مفهوم الشفاعة أولًا وبيان أنواعها.

المبحث الأول

مفهوم الشفاعة في اللغة والاصطلاح ، وأنواعها

الشفاعة في اللغة والاصطلاح :

الشفاعة في اللغة :

مأخوذة من الفعل شفع يشفع شفعاً وشفاعة و الشفع وهو الزوج خلاف الوتر ، تقول كان وتراً فشفعته شفعاً ، وشفع الوتر من العدد شفعاً صيَّره زوجاً ، والشفاعة أن تشفع فيما تطلب وفيها الطلب والسؤال .

يقول ابن منظور: شفع: الشَّفْعُ: خِلَافُ الوَتْر، وَهُوَ الزَّوْجُ، تَقُولُ: كانَ وَتْراً فَشَفَعْتُه شَفْعاً، وشَفَعَ الوَتْرَ مِنَ العَدَدِ شَفْعاً: صيَّره زَوْجاً؛ وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ: طَلَب، والشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان عَلَى فُلَانٍ وتَشَفَّع لَهُ إِليه فشَفَّعَه فِيه [1].

وجاء في مختار الصحاح: الشَّفْعُ ضِدُّ الْوِتْرِ، يُقَالُ: كَانَ وِتْرًا فَشَفَعَهُ، والشُّفْعَةُ فِي الدَّارِ وَالْأَرْضِ، وَالشَّفِيعُ صَاحِبُ الشُّفْعَةِ وَصَاحِبُ الشَّفَاعَةِ، وَاسْتَشْفَعَهُ إِلَى فُلَانٍ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، وَتَشَفَّعَ إِلَيْهِ فِي فُلَانٍ فَشَفَّعَهُ فِيهِ تَشْفِيعًا[2].

وقال الراغب: الشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة[3] وسميت الشَّفاعة بذلك؛ لأنّ المشفوع له يأتي بالشافع ليشفع له، فأصبحا بذلك شفعاً.

---

(١) لسان العرب ٨/ ١٨٣، ١٨٤، تأليف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر– بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ .

(٢) مختار الصحاح صـ ١٦٦، تأليف: محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٩٩٩م.

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ ٤٥٧، ٤٥٨، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، ط ١، ١٤١٢ه.

الشفاعة في الاصطلاح :

عرف المتكلمون الشفاعة بتعريفات متعددة كلها تدور حول التوسط للغير لجلب منفعة أو لدفع مضرة، أو لرفع حرج عن الغير.

عرفها الجرجاني بقوله: " إنها السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"(١).

وعرفها الآمدي فقال : اسم الشفيع حقيقة طالب جلب النفع ، وطالب دفع الضر"(٢)

وعرفها الإمام البيجوري فقال الشفاعة عرفا: المعروفة عند الناس "سؤال الخير من الغير للغير"(٣).

وعرفها القاضي عبد الجبار الشفاعة بأنها: " مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع ومشفوع له، ومشفوع إليه" (٤).

ويقول أبو اسحاق الصفار: واعلم أن الشفاعة مصدر من قولهم شفع لي فلان، إليَّ فلان شفاعة، والشفاعة: ضم الشيء إلي الشيء فيكون زيادة عليه، وطلب النفع لغيره والشفيع والشافع فيكونان بمعني واحد (٥).

ويقول الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر: إن الشفاعة هي سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير على سبيل الضراعة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وهي نوع من أنواع الدعاء، مشيرا إلى أن المقصود بالشفاعة في يوم القيامة هي السؤال في التخليص من موقف القيامة وأهواله.

ومما سبق تبين أن مفهوم الشفاعة في اللغة يتقارب كثيرا مع مفهوم الشفاعة اصطلاحاً، فجميعها تدور حول سؤال منفعة الغير ورفع الجناية عنه.

---

(١) الإمام الجرجاني، كتاب التعريفات، ص١٦٨.
(٢) ينظر أبكار الأفكار جـ٤ ص ٣٧٧
(٣) الإمام محمد إبراهيم البيجوري، شرح جوهرة التوحيد، بتحقيق علي جمعة، الطبعة الأولي، دار السلام، القاهرة، ص٣٠٥.
(٤) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٦٨٨.
(٥) أبي إسحاق الصفار، تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد، ص٧٧٧

أنواع الشفاعة وأسباب نيلها يوم القيامة:

اختلف العلماء في عد أنواع الشفاعات يوم القيامة، والسبب الأساس في اختلافهم عدم وجود الدليل القطعي الواضح في نوع الشفاعة، وغالبية من عدَّ أنواع الشفاعات إنما قصرها على شفاعات النبي محمد ﷺ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين، فترى أحدهم يزيد على الآخر بحسب ما يتوصل اليه اجتهاده على أنها من أنواع الشفاعات الأخروية، فقد ذكر بعضهم أنها خمسة أنواع(١)، وبعضهم زاد نوعا سادسا(٢)، ومن العلماء من عدها ثمان شفاعات .

لكني أحاول عرض أهم أنواع الشفاعة في السطور التالية :

أولها : الشفاعة العامة أو الشفاعة العظمى:

وهي شفاعة النبي محمد – ﷺ – لعموم الخلق وهم واقفون في أرض المحشر لِيُعَجِّل الله حسابهم ويُراحوا من هول موقفهم، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا – ﷺ–.(٣)

وهذه الشفاعة العامة هي المرادة بقوله ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»(٤) هذه الشفاعة لأهل الموقف إنما هي لأجل حسابهم ، ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبي في تذكرته ، قال : وقوله في حديث أبى هريرة : "

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٣/ ٣٥، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ه، فتح الباري شرح صحيح البخاري١١/ ٥٢٢، ٥٢٣، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.

(٢) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٢٨٥، تأليف: شمس الدين القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، ط١، ١٩٩٩م، وفتح الباري١١/ ٥٢٣.

(٣) ينظر آراء أبي شكور السالمي الكلامية - عرض ونقد – رسالة لنيل درجة الدكتوراه في كليية أصول الدين بالمنصورة مقدمة من الباحث/ قدري قدري محمد الديب: ص ٤٥٣

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان -باب اختباء النبي -صلى الله عليه وسلم- دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٨٩ ح ٣٣٨)

« يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن » " يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته ، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم ، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط ثم يلهمون .

وأما ما ذكره الإمام الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحا ألف سنة ، وكذا بين كل نبي ونبي ، فقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري :لم أقف لذلك على أصل.(١)

الثَّانِيَة: الشَّفَاعَة فِي إِدْخَال قوم الْجنَّة بِغَيْر حِسَاب:

وَهَذِه أَيْضا وَردت للنَّبِي، ﷺ ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح. عن البُخَارِيّ وَمُسلم من حَدِيث أبي هُرَيْرَة، وَفِيه: (فأنطلق تَحت الْعَرْش فأقع سَاجِدا) ، وَفِيه: (فَيُقَال يَا مُحَمَّد أَدخل من أمتك من لَا حِسَاب عَلَيْهِ من الْبَاب الْأَيْمن من أَبْوَاب الْجنَّة) ، وَشبهه من الْأَحَادِيث. الثَّالِثَة: قوم استوجبوا النَّار فَيشفع فيهم نَبينَا مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي عدم دُخُولهمْ فِيهَا، قَالَ القَاضِي: وَهَذِه أَيْضا يشفع فِيهَا نَبينَا مُحَمَّد.(٢)

قال النووي وجماعة: هي مختصة به ﷺ ، والشفاعة في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها. قال القاضي عياض وغيره: ويشترك فيها من يشاء الله تعالى. والشفاعة في إخراج من أدخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان وهي مختصة به ﷺ . والشفاعة في إخراج من أدخل منهم النار وفي قلبه أزيد من ذرة من إيمان، ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون. وظاهر هذا السياق أن المراد بمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلى آخره عام في أمته وغيرهم من الأمم.(٣)

---

(١) ينظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ) الناشر : مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق : ٢ / ٢٠٧

(٢) شرح عمدة الأحكام" لابن دقيق (١/ ١١٨).

(٣) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المؤلف: أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ : ١ / ٣٢٧

ثالثها الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ :

إن الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ مما يخص نبينا صلى الله عليه وسلم فَيَشْفَعُ فِيهِمْ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، عن عبد الله بن أبي الجدعاء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يدخلُ الجنَّةَ بشفاعة رجلٍ من أمتي أكثر من بني تميم"(١)

وعن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ: قال: " إنَّ من أمتي من يشفعُ للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة" (٢).

رابعها : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون من النار بشفاعة نبينا – ﷺ– أو شفاعة الملائكة أو شفاعة بعض إخوانهم من المؤمنين كالشهداء .

أحاديث الشفاعة مطلقاً أو في المذنبين متواترة المعنى وقد ورد حديث" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " وفي لفظ " آخر لأهل الذنوب من أمتي " وفي آخر " خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفي أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين"، وقال السعد في شرح النسفية بعد ذكر حديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ما نصه وهو مشهور بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى أهـــ.

وقال التقي السبكي في شفاء السقام لما تكلم على الشفاعة المختصة به ﷺ وهي الإراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب وهي الشفاعة العظمى قال ولم ينكرها أحد .

وقال عياض جاءت الأحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وفي فتح الباري جاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة

(١) رواه الترمذي، والدرامي وابن ماجه. [٥٦٠١]
(٢) رواه الترمذي [٥٦٠٢]

المحمدية متواترة ودل عليها قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " والجمهور على أن المراد به الشفاعة .[١]

خامسها : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها :

وهذه لا ننكرها، ولا تنكرها المعتزلة وغيرهم أيضًا، فإنهم أولوا أحاديث الشفاعة إلى هذا النوع، يقول النووي في كتاب الأذكار عن بعضهم أنه قال: لا يقل: اللهم ازرقنا شفاعة النبي ﷺ فإنها لمن استوجب النار، وهذا جهل وباطل رده النووي والقاضي عياض مع أن شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام في دخولهم الجنة بغير حساب، ولأقوام لزيادة الدرجات، هذا وكل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو مشفق من كونه من الهالكين، ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة أيضًا فإنها لأصحاب الذنوب، رزقنا الله تعالى شفاعة نبيه ووسيع رحمته.[٢]

سادسها : شفاعته – ﷺ – لعمه أبي طالب حيث يُخَفَّف عنه العذاب فيقف في ضحضاح من النار يغلي منه دغامه.

إن شفاعته– ﷺ – لعمه أبى طالب فى تخفيف العذاب ثابت فى الصحيح أن العباس قال لرسول الله– ﷺ –: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل نفعه ذلك؟

قال: نعم، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح[٣]

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ / الكتاني (المتوفى: ١٣٤٥هـ) المحقق: شرف حجازي الناشر: دار الكتب السلفية - مصر الطبعة: الثانية ص ٢٣٤

(٢) هامش كتاب الكوكب الدري على جامع الترمذي المؤلف: رشيد أحمد الكنكوهي (المتوفى: ١٣٢٣ هـ) جمعها ورتبها: محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (المتوفى: ١٣٣٤ هـ) المحقق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي الناشر: مطبعة ندوة العلماء الهند عام النشر: ١٣٩٥ هـ : ٣ / ٢٨١

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٨٣) فى المناقب، باب: قصة أبى طالب، ومسلم (٢٠٩) فى الإيمان، باب: شفاعة النبى لأبى طالب. من حديث العباس- رضى الله عنه-.

وفى الصحيح أيضا عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. »[1] .

وفي رواية أم دماغه، أي: رأسه، من تسمية الشيء بما يقاربه ويجاروه، وصرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن نبيه للوقوع، بل قال في النور عن بعض شيوخه، إذا وردت عن الله ورسله وأوليائه معناها التحقيق، ولا يشكل هذا بقوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} ؛ لأنه خص من عموم الآية لصحة الحديث. قاله البيهقي: ولذا عدّ في الخصائص النبوية، أو لأنَّ المنفعة الإخراج من النار، وفي الحديث بالتخفيف قاله القرطبي.

"**وزاد بعضهم شفاعة سابعة**: وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث سعد بن أبي وقاص، وحديث أبي سعيد سعد بن مالك الخدري "رفعه: "لا يثبت" المتقدم- لا يصبر "أحد على لأوائها" شدتها وجوعها، "إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة".

لكن قال الحافظ ابن حجر" العسقلاني: "إنها مندرجة" أي: داخلة "في الخامسة" التي هي رفع الدرجات، فليست بزائدة،. [2]

وزاد في فتح الباري شفاعة ثامنة : فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، لما رواه الطبراني عن ابن عباس" عن النبي ﷺ : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" ومنهم الظالم لنفسه" بالتقصير بالعمل به، "وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته ﷺ .

أخرج عبد بن حميد وابن جرير عَن قَتَادَة فِي قَوْله {وعَلى الْأَعْرَاف رجال} قَالَ: الْأَعْرَاف حَائِط بَين الْجنَّة وَالنَّار وَذكر لنا أَن ابْن عَبَّاس كَانَ يَقُول: هم قوم

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٥٦٤) فى الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم (٢١٠) فى الإيمان، باب شفاعة النبى لأبى طالب من حديث أبى سعيد الخدرى- رضى الله عنه-.

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م : ١٢ / ٣٤٦ وما بعدها .

اسْتَوَت حسناتهم وسيئاتهم فَلم تفضّل حسناتهم على سيئاتهم وَلَا سيئاتهم على حسناتهم فحبسوا هُنَالك

عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: الْأَعْرَاف السُّور الَّذِي بَين الْجنَّة وَالنَّار وَهُوَ الْحجاب وَأَصْحَاب الْأَعْرَاف بذلك الْمَكَان فَإِذا أَرَادَ الله أَن يعفوا عَنْهُم انْطلق بهم إِلَى نهر يُقَال لَهُ نهر الْحَيَاة حافتاه قصب الذَّهَب مكلل باللُّؤْلُؤِ تربته الْمسك فيكونون فِيهِ مَا شَاءَ الله حَتَّى تصفوا ألوانهم ثمَّ يخرجُون فِي نحورهم شامة بَيْضَاء يعْرفُونَ بهَا فَيَقُول الله لَهُم: سلوا فَيسْأَلُونَ حَتَّى تبلغ أمنيتهم ثمَّ يُقَال لَهُم: لكم مَا سَأَلْتُم وَمثله سَبْعُونَ ضعفا فَيدْخلُونَ الْجنَّة وَفِي نحورهم شامة بَيْضَاء يعْرفُونَ بهَا ويسمون مَسَاكِين أهل الْجنَّة.(١)

وأخرج ابن مردويه وأبو الشيخ عن جابر: سئل – ﷺ – عَمَّن استوت حسناته وسيئاته فقال: "أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون"، وأخرج البيهقي عن حذيفة رفعه: "يجمع الناس يوم القيامة، فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي"، فهذا نص المصطفى .

قال السيوطي: القول الخامس والثامن يمكن اجتماعهما مع الأوّل، لأنَّ المدار في كل على تساوي الحسنات والسيئات، فتجتمع الأحاديث كلها ويقطع بترجيحه، "وشفاعة أخرى: وهي شفاعته –ﷺ– فيمن قال: لا إله إلا الله" محمد رسول الله؛ لأنها علم عليهما شرعًا، "ولم يعمل خير قط لحديث الحسن" البصري "عن أنس" بن مالك في الصحيحين: "ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر

(١) الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت: ٣ / ٤٦٣

ساجدًا، فيقال: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي في الشفاعة فيمن قال: لا إله إلا الله".[1]

هذه أنواع من الشفاعة، وقد اتفق علماء الأمة على وقوع النوع الأول والثاني والخامس والسادس، أما بالنسبة للنوعين الثالث والرابع فقد جرى حولهما خلاف كبير بين أهل السنة والجماعة من جانب وبين المعتزلة من جانب آخر :

(١) هامش كتاب شرح الزرقاني على المواهب اللدنية : ١٢ / ٣٤٣ وما بعدها

المبحث الثاني

مذاهب العلماء في إثبات الشفاعة ونفيها

تمهيد :

ذكرت أن العلماء اتفقوا على وقوع النوع الأول والثاني والخامس والسادس، أما بالنسبة للنوعين الثالث والرابع (الشفاعة لأهل الكبائر)، فقد جرى حولهما خلاف كبير بين أهل السنة والجماعة من جانب، وبين المعتزلة والخوارج من جانب آخر، ومحل الاختلاف الحاصل بين العلماء في الشفاعة حول مَن تجري في حقه الشفاعة؟ لا في إثبات الشفاعة فهي ثابتة بالنصوص الوضحة التي لا تقبل التأول ، هل تجري في حق العصاة والمذنبين من أهل الكبائر في الدنيا، فتُسقِط الشفاعةُ العقوبة تجاوزاً منه سبحانه؟، أو أنها تنال المؤمنين من أهل الطاعات والقُرُبات، فتكون سبباً لزيادة الحسنات ، ونماءً في ثوابهم ورفع درجاتهم؟

يقول الإمام الأشعري: "قد أجمع المسلمون أن لرسول صلى الله عليه وسلم شفاعة، فلمن الشفاعة؟ أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر؟ أم للمؤمنين المخلصين؟ فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا، وإن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها، قيل لهم: فإذا كانوا موعودين بالجنة، وبها مبشرين، والله تعالى لا يخلف وعده، فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته؟ ومن قولكم أنهم قد استحقوها على الله عز وجل واستوجبوها عليه سبحانه، وإذا كان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وكان تأخيرهم عن الجنة ظلماً، فإنما يشفع الشفعاء إلى الله تعالى في أن لا يظلم على مذاهبكم، تعالى الله عن افتراءكم عليه علواً كبيراً، فإن قالوا: يشفع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في أن يزيدهم من فضله، لا في أن يدخلهم جناته، قيل لهم: أوليس قد وعدهم عز وجل ذلك، فقال تعالى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا**

نَصِيرًا} [النساء: ١٧٣]، والله تعالى لا يخلف وعده، فالشفاعة المعقولة فيمن استحق عقاباً، أن يوضع عنه عقابه أو في من لم يعده شيئاً أن يتفضل عليه به[١].

ويقول ابن حزم : اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهو المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة وقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت .[٢]

ويقول "ابن المطهر الحلِّي" وهو يشرح "متن تجريد الاعتقاد للطوسي": « اتفق العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾، قيل إنه الشفاعة، واختلفوا، فقالت الوعيدية[٣] إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، وذهبت التفضلية [٤] إلى أن الشفاعة للفساق من هذه الأمة في إسقاط عقابهم، وهو الحق»[٥].

وفي موضع آخر يذكر "ابن المطهر الحلِّي" أنه قد:« اتفق المسلمون على ثبوت الشفاعة لنبينا صلى الله عليه، واختلفوا فذهب المعتزلة إلى أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين في زيادة المنافع، وذهب غيرهم إلى أنها تكون للفساق في سقوط عقابهم وهو الحق عندي»[٦].

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني الحنبلي، ج٢، ص٢٠٨

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ط مكتبة الخانجي – القاهرة : ٤ / ٥٣ .

(٣) الوعيدية هي الفرق التي غلبت جانب الوعيد وهم الخوارج والمعتزلة الذين أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وغلوْا في نصوص الوعيد، وقالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يُخلِفَ أيًّا منهما، لأن أهل الكبائر عند الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف الشيعة مخلدون في النار، فلا تصح الشفاعة لمن استوجب عندهم دخول النار فضلاً عمن هو مخلد فيها. ينظر: الملل والنحل ١/ ٤٥، ١١٤.

(٤) التفضيلية أو المفضلة هم الذين يفضلون عليّاً على أبي بكر وعمر من الزيدية وغيرهم

(٥) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد صـ ٣٩٣.

(٦) مناهج اليقين في أصول الدين صـ ٥٢٨، تأليف: ابن المطهر الحلي، دار الأسوة للطباعة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٥هـ.

وهكذا يحرر "ابن المطهر الحلي" محل النزاع في مسألة الشفاعة لمرتكب الكبيرة، فليس هناك خلاف بين الفرق الإسلامية في إثبات أصل الشفاعة للنبي ﷺ في الآخرة، وإنما الخلاف وقع بينهم في: هل تثبت شفاعة النبي ﷺ للفساق من المؤمنين الذين ماتوا قبل أن يتوبوا أم لا؟

أولا: مذهب المعتزلة

ذهب المعتزلة إلي القول بعدم جواز العفو عن مرتكب الكبيرة فهو يستحق العقاب علي الدوام وبما هو قد ثبت من كتاب الله تعالي بثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، إلا أنهم اختلفوا في أنها لِمَنْ تكون؟ ومن يستحقها؟

يقول القاضي عبد الجبار:" أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي صلى اللّه عليه و سلّم ثابتة للأمة، و إنما الخلاف في أنها ثبتت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، "(١)

إذا فمحل الخلاف بين المتكلمين من المعتزلة ليس في ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد فهذا متفق عليه من المتكلمين وإنما الخلاف حول لمن تثبت له الشفاعة؟

فالمعتزلة يرون أن الشفاعة تكون للمؤمنين التائبين بخلاف من فعل كبيرة من الكبائر ثم مات ولم يتب منها فهو عندهم ليس له شفاعة.

فالشفاعة عند المعتزلة غير جائزة لمن مات علي كبيرة ولم يتب منها فهي في حقه تقبح والذي ذكره القاضي عبد الجبار من حديثه بنفي الشفاعة لمرتكب الكبيرة فهو نفس ما اتفق عليه غالب المعتزلة .

ويذكر أبو شكور أن المعتزلة قد اختلفوا حول الشفاعة على فريقين :

الفريق الأول : أنكر وقوع الشفاعة من أي نوع لأي أحد من الناس .

الفريق الثاني : أثبت الشفاعة لثلاثة أصناف :

(١) شرح الأصول الخمسة، ص٤٦٣ .

أولها : من اجتنب الكبائر وارتكب الصغائر، فيحتاج في مغفرة الصغيرة إلى الشفاعة .

ثانيها : من ارتكب الكبيرة ثم تاب، فيحتاج في قبول التوبة إلى الشفاعة .

ثالثها : من اجتنب الكبائر والصغائر، ولكن يحتاج إلى زيادة الدرجات على زيادة أعماله وذلك بالشفاعة .

ويبين أبو شكور أن الشفاعة لدى هذا الفريق الذي يثبتها للأصناف الثلاثة إنما تكون للأنبياء والملائكة، فالأنبياء يشفعون في الأصناف الثلاثة وكذلك الملائكة تشفع في هذه الأصناف(١) .

ويعقب أبو شكور على أصحاب الرأي الثاني فيقول :

أما قولهم بأن الشفاعة تكون لمن اجتنب الكبيرة وارتكب الصغيرة، فيجاب عليه بأن هذا العبد لا يحتاج إلى الشفاعة عندهم، لأن المذهب عندهم أن من اجتنب الكبيرة وارتكب الصغيرة وجب على الله تعالى أن يغفر له، واحتجوا لذلك بقوله تعالى "**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**"(٢)، فإذا كانت المغفرة واجبة على الله تعالى – على زعمهم – لهذا الصنف من الناس، فإنهم حينئذٍ لا يحتاجون إلى الشفاعة .

وأما قولهم بأن الشفاعة تكون لمن ارتكب الكبائر ثم تاب عنها، فيجيب عليه بأنه أيضًا لا يصح عندهم، لأن المذهب عندهم أن من تاب من الكبائر فواجب على الله تعالى أن يقبل توبته ويغفر له كمن آمن بالله تعالى وعمل الصالحات فلا يحتاج إلى الشفاعة .

ثم يحكم أبو شكور على إثباتهم للشفاعة على هذا النحو بالبطلان، وذلك لأن المذهب عندهم أنه يجب على الله تعالى أن يغفر لهؤلاء، ثم أثبت المعتزلة لهم

(١) التمهيد في بيان التوحيد ص١٣١ .
(٢) سورة النساء : ٣١ .

الشفاعة لمغفرة ذنوبهم، فصار الأمر كأن الله تعالى لم يغفر لهم فترك ما هو واجب عليه، ويكون هذا منه ظلمًا وجورًا، والله تعالى منزه عن الظلم والجور[١] .

وقد استدل المعتزلة بقولهم بنفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة بأدلة نقلية وأخرى عقلية وهي كما يلي:

أولاَ: أدلتهم من القرآن الكريم:

إنَّ للمعتزلة شبهات اعتقدوها أدلة في نفي الشفاعة للمسلم العاصي نتيجة فهمهم الخاطئ لنصوص القرآن الكريم ، منها:-

الدليل الأول:

قال تعالى:(**وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**)[٢] .

يقول القاضي عبد الجبار:"الآية تدل على أن من استحق العقاب لا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم له، ولا ينصره؛ لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها، فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب، وهي واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم، لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم، فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأن يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضاً، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لهم لكان قد أغنى عنهم وأجزى، فكان لا يصح أن يقول تعالى:(**لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً**) ولما صح أن يقول:(ولا يقبل منها شفاعة) وقد قبلت شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم. ولما صح أن يقول:"ولا يؤخذ منها عدل" ، لأن قبول الشفاعة وإسقاط العقاب...أعظم من كل فداء يسقط به ما قد استحقوه من المضرة، بل كان يجب أن تكون الشفاعة فداء لهم عما قد استحقوه..ولما صح أن يقول:(ولا هم

(١) التمهيد في بيان التوحيد ص١٣٢،١٣١ وراجع آراء أبي شكور السالمي الكلامية - عرض ونقد – رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة عام ٢٠١٦ للباحث قدري قدري محمد الديب.

(٢) سورة البقرة:٤٨ .

ينصرون) وأعظم النصرة تخليصهم من العذاب الدائم بالشفاعة. بالآية دالة على نقول من جميع هذه الوجوه.(١)

ويقول الزمخشري :"فإن قلت:هل فيه دليل على أنّ الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت:نعم، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت:الضمير في(وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا) إلى أي النفسين يرجع؟ قلت:إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل. ومعنى لا يقبل منها شفاعة"(٢)

الرد على المعتزلة:

إن استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر باطل؛ وذلك لأن الشفاعة المنفية في الآية هي الشفاعة للكافرين، ويدل على ذلك ما يلي:-

أولاً: إجماع المفسرين على أن المراد بالنفس في الآية الكريمة: هي: النفس الكافرة، أي النفس التي مات صاحبها على الكفر.

يقول الطبري:"وهذه الآية وإن كان مخرجها عاما في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل، إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل".(٣) وقوله تعالى:*(وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)* سورة البقرة:آية ٤٨. إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل).

يقول القرطبي:"وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى:**(وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)النفس الكافرة لا كل نفس**".(٤)

ويقول ابن كثير:"قوله تعالى:**(وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)** يعني من الكافرين، كما

(١) متشابه القرآن ٩٠،٩١/١.
(٢) تفسير الكشاف:الزمخشري ٨٨/١
(٣) تفسير الطبري ٣١/١
(٤) تفسير القرطبي ٣٤٧/١

قال تعالى:(فما تنفعهم شفاعة الشافعين) [١] ثم قال: فقد أخبر الله تعالى أنهم لما لم يؤمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ويتابعوه على ما بعثه الله به ووافوا الله يوم القيامة فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة شافع، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض". [٢]

فإذا كان المراد بالنفس في الآية النفس الكافرة، فالشفاعة المنفية في الآية الشفاعة للكفار لا للعصاة؛ وإذن فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [٣]، قالوا: إن ناصر الإنسان هو من يدفع عنه الضرر، فلو اندفعت العقوبة عنهم بشفاعة الشفعاء لكان أولئك أنصاراً لهم، وذلك يبطل قوله تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[٤]

الرد على المعتزلة:

أنّ الآية جاءت في سياق من يمنعون حقوق الفقراء والمساكين؛ وعليه، فالظلم هنا هو ظلمهم للفقراء والمساكين بمنعهم حقوقهم، وقد أجاب الإمام الرازي على استدلالهم بالآية بعدة أجوبة، قال: اعلم أنّ العرف لا يسمي الشفيع ناصراً، بدليل قوله تعالى: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}** [البقرة: ٤٨]، ففرّق تعالى بين الشفيع والناصر، فلا يلزم من نفي الأنصار نفي الشفيع.

أنّ هذا الدليل النافي للشفاعة عامّ في حقّ الكل، وفي كل الأوقات، والدليل المثبت للشفاعة خاصّ في حقّ البعض وفي بعض الأوقات، والخاصّ مقدم على العامّ.

---

(١) سورة المدثر:آية ٤٨
(٢) تفسير القرآن العظيم:ابن كثير ٢٥٦/١
(٣) سورة البقرة: ٢٧٠
(٤) الإنصاف للباقلاني، ص١٦٢

ثم إنّ اللفظ العام لا يكون قاطعاً في الاستغراق، بل ظاهراً على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنياً، والمسألة ليست ظنية، فكان التمسك بها ساقطاً[١].

فقوله تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} نقيض لقولنا: للظالمين أنصار، وهذا موجبة كلية، فقوله {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} سالبة جزئية، فيكون مدلوله سلب العموم، وسلب العموم لا يفيد عموم السلب [٢]

الدليل الثالث:

قول الله تعالى:(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) [٣]

يقول القاضي عبد الجبار: إن الله تعالى بين في هذه الآية أن الظالم لا يشفع له النبي ﷺ ، وأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين لتحصل لهم مزية في التفضل وزيادة في الدرجات مع ما يحصل له صلى الله عليه وسلم من التعظيم والإكرام"[٤]

الرد على المعتزلة:

أولاً:إنَّ المراد بالظالمين في الآية هم الكافرون،لأن الظلم إذا أطلق انصرف إلى الكفر، إذ أنَّ الكفر أعظم الظلم، بدليل قول الله تعالى:(**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**).[٥]

فعلى ذلك فالشفاعة المنفية عن الكفار، وصاحب الكبيرة ليس بكافر، فيبطل الاستدلال بالآية.وقد ذهب إلى تأويل الظالمين بالكافرين أهل السنة وغيرهم.

يقول الإمام الباقلاني أن الظلم الوارد في قول الله تعالى:(**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**). معناه:الكفر[٦] واستدل الباقلاني بقوله تعالى:(**إن الشرك لظلم**

(١) انظر: شرح المواقف ٣٤١/٨، شرح المقاصد ١٥٨/٥، نهاية الإقدام في علم الكلام، ص٣٥٤، الإرشاد للجويني، ص٣٩٣-٣٩٤

(٢) راجع الباقلاني في التمهيد، ص٣٦٧، الألوسي في روح المعاني ٢٥٤/١

(٣) سورة غافر:١٨.

(٤) متشابه القرآن ٦٠٠/٢

(٥) سورة لقمان١٣.

(٦) انظر التمهيد ص ٣٧١، والإنصاف:الباقلاني ص ١٥٤

عظيم) سورة لقمان آية ١٣. ثم قال: ولهذا لما نزل قوله تعالى:**(الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)** سورة الأنعام: آية ٨٢. حزن الصحابة رضي الله عنهم حتى قالوا:وأينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال صلى الله عليه وسلم:"ليس هو كما تظنون، وإنما هو من قول لقمان لأبنه:**(يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)** [١] والحديث في الصحاح [٢] فدلَّ أن لا شفاعة تنفع الكافر، والمؤمن بخلاف ذلك، وإن كانت له سيئات.[٣]

الدليل الرابع:

قوله تعالي: (**وَأَنذِرۡهُمۡ يَومَ ٱلأزِفَةِ إِذِ ٱلقُلُوبُ لَدَى ٱلحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن حَمِيم وَلَا شَفِيع يُطَاعُ)**[٤].

وجه دلالة الآية : أن الله تعالي نفي الشفاعة للظالمين علي سبيل العموم، والعصاة ظالمون فلا يكون لهم شافعون.

الرد على المعتزلة:

وربما قيل بموجب هذه الآية من حيث إنها نفت أن يكون في الآخرة شفيع مطاع ، ولا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع مطلقًا ، وهو بعيد من جهة أن الطاعة في اللغة عبارة عن فعل مراد الطالب ، وسواء أكان الطالب مساويًا أو أعلى أو أدنى ، ولذلك قال ﷺ لابن عباس : إن أطعت الله أطاعك) أي إن فعلت ما أراد فعل ما تريد . " [٥]

يقول الإمام النسفي إن مفهوم الآية الكريمة منصرف إلي الكافر إذ هو الظالم

---

(١) سورة لقمان: آية ١٣.
(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٦، كتاب التفسير، باب ولا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، أخرجه مسلم رقم ١٢٤، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.
(٣) الإنصاف:الباقلاني ص ١٥٤ .
(٤) سورة غافر آية ١٨.
(٥) ينظر أبكار الأفكار جـ٤ ص ٢٧٤ .

المطلق الذي لا عدل معه، فأما المؤمن الذي معه الإيمان والأعمال الصالحة فلا يسمى ظالماً علي الاطلاق"[١].

ثانياً: الأدلة من السنة المطهرة:

كما استدلوا على نفي الشفاعة في حق أهل الكبائر بعدد من الأحاديث، منها:

الحديث الأول:

قوله ﷺ: "لا تنال شفاعتي لأهل الكبار من أمتي"وهو نص صريح في نفي الشفاعة عندهم لأهل الكبائر.[٢]

الجواب:

أن هذا عن الحسن لم يصح، ولم يرد في خبر صحيح ولا يعارض الآثار الصحاح المتفق على صحتها، ثم لو جاز أن يكون قد روي فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته بالضعيف، مع إمكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع، فتحمل صحاح الأخبار على ما قلنا، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التي تخرج عن الإسلام"[٣].

الحديث الثاني

ومن الأحاديث التي استدلوا بها، قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة نمّام ولا مدمن خمر ولا عاق"[٤].

والجواب :

عن هذه الأخبار: أنها تتعارض مع قول الرسول ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"، فقال أبو ذر: "وإن زنا، وإن سرق؟ فقال: وإن زنا، وسرق، وقتل، وشرب الخمر، وإن رغم أنف أبي ذر" [٥]فصحّ ما قلناه.

---

(١) تبصرة الأدلة، (١٠٦٩/٢)، ويراجع له أيضا التمهيد لقواعد التوحيد،ص٣٧٦

(٢) رواه ابن ماجه برقم ٤٣١١، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة.

(٣) الإنصاف للباقلاني، ص١٦٤-١٦٥

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ص١٧١٧١ برقم ٢٣٧١٤

(٥) أخرجه البخاري، ص٦١٩ برقم ٣٢٢٢، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، مسلم، ص٦٤ برقم ٩٤، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة،

الحديث الثالث

أن الرسول ﷺ ذكر أنه لا يشفع إلا في مؤمن: وقد وردت الروايات: "لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن"(١) وكذلك روي أنه قال: "من غشنا فليس منا"(٢)، و"لا إيمان لمن لا أمانة له"(٣)، إلى غير ذلك، فكيف يشفع الرسول عليه السلام فيمن ليس بمؤمن؟

الجواب:

أن يُقال لهم: هذه الأخبار لا حُجة فيها ولا تُعارض أخبار الشفاعة، فإنها محتملة لوجوه إذا صُرفت إليها صحّت، ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة.

أحدها: أن يكون المراد: لا يزني ولا يسرق حين يفعل ذلك، وهو مؤمن: أي مستحل لذلك، حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله صلى الله عليه وسلم: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا وشرب الخمر"(٤)، أو يكون أراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء، أو يكون المراد: ليس بمؤمن كإيمان المؤمن الذي لم يكن منه سرقه، ولا زنا، ولا شرب خمر، أي في البر، والطهارة، والعفة، ونحو ذلك، وتصير هذه كقوله: "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"(٥)، أراد الكمال(٦).

كذلك استدل المعتزلة بأدلة عقلية كثيرة ومتعددة أذكر منها

(١) أخرجه البخاري، ص١٠٩٩ برقم ٥٧٧٨، كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب، مسلم، ص٥٥ برقم ٥٧

(٢) أخرجه مسلم، ص٦٧ برقم ١٠١، كتاب الإيمان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من غشنا فليس منا"، أحمد، ص٣٨٦ برقم ٥١١٣

(٣) أخرجه أحمد، ص٨٥١ برقم ١٢٤١٠، الطبراني في الأوسط ٦٢٦/١

(٤) أخرجه البخاري، ص١٠٩٩ برقم ٥٧٧٨، كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب، مسلم، ص٥٥ برقم ٥٧، كتاب الإيمان، باب: نقصان الإيمان بالمعاصي،

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٣٧/٢ برقم ٣٤٩٢

(٦) الإنصاف للباقلاني، ص١٦٦-١٦٧، وانظر: تفسير الرازي ٦٢/٣.

الدليل الأول:

فقد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي عليه السلام و الحال ما تقدم، و مما يدل على ذلك قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً)** الآية، و قوله تعالى: **(ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ)** فاللّه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة، فلو كان النبي شفيعا للظلمة لكان لا أجل و أعظم منه.(١)

الرد على المعتزلة :

أن الأدلة الدالة على دوام العقوبة عامة، وأدلة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر خاصة، والخاص مقدم على العام، فوجب القطع بأن النصوص الدالة على الشفاعة مقدمة على العمومات الدالة على دوام العقوبة.(٢)

وهذه الشبهة تنبني على القول بتخليد الفاسق في النار، وقد سبق عرض شيء من الشبهات الواردة حول هذا عند الكلام على رأي المعتزلة في الوعيد، وإبطالها، فإذا بطل الأصل بطل الفرع (٣)

الدليل الثاني:

يقول الإمام الرازي: "واستدلت المعتزلة على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر بوجوه منها : أن الأمة مجمعة على أن ينبغي أن نرغب إلى الله تعالى في أن يجعلنا من أهل شفاعته عليه السلام، ويقولون في جملة أدعيتهم: "واجعلنا من أهل شفاعته" فلو كان المستحق للشفاعة هو الذي خرج من الدنيا مصراً على الكبائر؛ لكانوا قد رغبوا إلى الله تعالى في أن يختم لهم مصرين على الكبائر"(٤) .

---

(١) شرح الأصول الخمسة القاضي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني المحقق: أبي هاشم احمد بن حسين نشر: دار احياء التراث العربي: بيروت ١ /٤٦٤.

(٢) الأربعين في أصول الدين للإمام الرازي ص٤٠٠، ٤٢٣.

(٣) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : ٤ / ٤٤.

(٤) (التفسير الكبير)) (٣/ ٦٣، ٦٤، ٦٥ .

يقول القاضي عبدالجبار: " أليس أن الأمة اتفقت على قولهم: اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق، وذلك خلف"[(١)].

الرد على المعتزلة :

يقول القرطبي – في معرض الرد على هذه الشبهة أو هذا الدليل –: "إنما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويرغب إلى الله في أن تناله لاعتقاده أنه غير سالم من الذنوب، ولا قائم بكل ما افترض الله عليه، بل كل واحد معترف على نفسه بالنقص، فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة. قال صلى الله عليه وسلم: (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) [(٢)(٣)].

ويقول الإمام الرازي: "أما قول المسلمين: اللهم اجعلنا من أهل شفاعة محمد ﷺ فالجواب عنه: إن عندنا تأثير الشفاعة في جلب أمر مطلوب، وأعني به القدر المشترك بين جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق، ودفع المضار المستحقة على المعاصي؛ وذلك القدر المشترك لا يتوقف على كون العبد عاصياً، فاندفع السؤال"[(٤)].

من رد الإمامين القرطبي والرازي، يظهر ما يلي:

أولاً: أن طلب المسلمين الشفاعة لاعتقادهم عدم السلام من الذنوب.

ثانياً: أنه لا يزم من طلب المسلم الشفاعة الدعاء بالختم للإنسان مصراً على الكبائر؛ لأن تأثير الشفاعة إنما هو في جلب أمر مطلوب، وهو القدر المشترك بين

(١) شرح الأصول الخمسة ص٦٩٢
(٢) رواه البخاري (٦٤٦٧) ، ومسلم (٢٨١٨)
(٣) تفسير القرطبي:١ / ٣٨٠، ٣٨١
(٤) التفسير الكبير : ٣/ ٧٤.

جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق ودفع المضار المستحقة على المعاصي، وبهذا يزول الإشكال، ويبطل الدليل.[١]

ثانيا: مذهب أهل السنة والجماعة" الأشاعرة والماتريدية":

هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية مبنية علي الحكم بأن مرتكب الكبيرة مؤمن ويرجي له النجاة ولا يدخلون النار بل يدخلون الجنة وإن دخلوا النار يخرجون منها بشفاعة شفيع ويجوز العفو عنه بدون التوبة أو بالشفاعة فمن باب أولي جواز العفو عنه بشفاعة النبي ﷺ .

يقول الإمام الأشعري: وأجمعوا على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته وأجمعوا علي أنه يخرج قوما من النار من أمته بعد ما احتشموا فصاروا حمما فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل"[٢]. فما نقل لنا عن الإمام الأشعري أن الشفاعة عنده ثابتة لأهل الكبائر وليست للطائعين كما يقول المعتزلة.

ويقول الإيجي: " أجمعت الأمة علي أصل الشفاعة وهي لأهل الكبائر من الأمة" ويقول الإمام التفتازاني: " وَعِنْدنَا يجوز لأهل الْكَبَائِر أَيْضا فِي حط السَّيِّئَات إِمَّا فِي العرصات وَإِمَّا بعد دُخُول النَّار لما سبق من دَلَائِل الْعَفو عَن الْكَبِيرَة"[٣] .

ويقول الإمام الرازي: " القول بشفاعة الرسول صلي الله عليه وسلم حق في فساق الأمة خلافا للمعتزلة"[٤].

يقول أبو اليسر البزدوي: " إن الله لا يدخل أهل الكبائر النار لشفاعة الرسل والأنبياء والعلماء لهم، بل يدخلهم الجنة، وقد يشفعون بعد الدخول في النار، فيدخلهم

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : ٤ / ٤٤ ، ٤٥

(٢) الإمام الأشعري، رسالة إلي أهل الثغر، ص١٦٤، ويراجع له أيضا الإبانة عن أصول الديانه، ص١١٦

(٣) الإمام التفتازاني، شرح المقاصد، (٢٣٩/٢)

(٤) الإمام الرازي، معالم أصول الدين، ص٩٥

النار لشفاعته فيدخلهم الجنة"[١].

يقول الإمام نور الدين الصابوني: "هذه المسألة تنبني علي جواز العفو عن مرتكب الكبيرة فإنه عندنا لما أجاز الله أن يعفو الله تعالي ويغفر له من غير واسطة توبة فأولي أن يعفو ويغفر بشفاعة الأنبياء عليهم السلام، وبشفاعة الأخيار والأبرار"[٢] .

أدلة أهل السنة والجماعة على الشفاعة:

استدلّ أهل السنة والجماعة على هذه الشفاعة، بالعديد من آيات القرآن الكريم وكذلك من أحاديث النبي ﷺ ، ومن العقل، أذكر منها :

الدليل الأول:

قوله تعالى: **{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}**[٣] .

يقول الإمام الرازي: " احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي حَقِّ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مَقْبُولَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ قَيَّدُوا ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ، فَأَجَابَ اللَّهُ قَوْلَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ مَطْلُوبَهُمْ فَإِذَا قَبِلَ شَفَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَفْوِ عَنِ الذَّنْبِ، فَلِأَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِ كان أولى. "[٤]

---

(١) أبو اليسر البزدوي، أصول الدين، ص١٦٦، ويراجع للخبازي، اهادي في أصول الدين، ص٢٥٦، ويراجع للأقشهري الانتقاد في شرح عمدة الاعتقاد، ص٧٥

(٢) الإمام نور الدين الصابوني، الكفاية، ص٧١٨، بتصرف يسير

(٣) سورة آل عمران: ١٩٣

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ : ٩ / ٤٦٨

الدليل الثاني:

قال الله تعالي: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ (١)

وجه الاستدلال: أن مرتكب الكبيرة أحوج إلي الشفاعة، ممن غفر له وخاصة أن له عهدا عند الله تعالي اتخذه بالإيمان والتوحيد فيكون من أهل الشفاعة.

يقول الإمام الماتريدي: " الشفاعة إنما تكون فيمن استوجب العذاب والعقوبة فأما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب، فإنه لا معني لها فيه، فهو يرد علي المعتزلة قولهم إن صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له، فالشفاعة التي ذكر لا تخلوا إما أن تكون لأهل الكبائر فيغفر لهم بالشفاعة فيبطل قولهم، وإما لأهل الصغائر فله تعذيبهم، فكيف ما كان فهو يرد قولهم إنه لا معني لذكر الشفاعة في المغفورين"(٢).

الدليل الثالث:

قوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: ١٩]، قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: "وللمؤمنين والمؤمنات": أي، ولذنوبهم، وهذا أمر بالشفاعة"(٣)، ومن المعلوم بداهة أن مرتكب الكبيرة لا يزول عنه الإيمان بارتكابها إلا أن يستحل ذلك .

الدليل الرابع:

قول الله تعالى في صفة الملائكة:(وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارتضى) (٤).

---

(١) سورة مريم جزء من الآية ٨٧

(٢) تأويلات القرآن الإمام الماتريدي، ١٦٨/٩، ويراجع لأبي البركات النسفي، الاعتماد في الاعتقاد، ص١٤٩

(٣) تفسير القرطبي ٣١٠/١٠، التذكرة ٦٠٨/٢

(٤) سورة الأنبياء من الآية ٢٨:

يقول الإمام فخر الدين الرازي:"وجه الاستدلال به أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى، وكل من كان مرتضى عند الله تعالى وجب أن يكون من أهل الشفاعة، إنما قلنا:إن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى لأنه مرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوحيده وكل من صدق عليه أنه مرتضى عند الله بحسب هذا الوصف يصدق عليه أنه مرتضى عند الله تعالى لأن المرتضى عند الله جزء من مفهوم قولنا:مرتضى عند الله بحسب إيمانه ، ومتى صدق المركب صدق المفرد، فثبت أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون من أهل الشفاعة لقوله تعالى:(وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى) نفي الشفاعة إلا لمن كان مرتضى والاستثناء عن النفي إثبات، فوجب أن يكون المرتضى أهلاً لشفاعتهم، وإذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل في شفاعة الملائكة وجب دخوله في شفاعة الأنبياء وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلّم ، ضرورة أنه لا قائل بالفرق".[١]

واستدلّ أهل السنة على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر كذلك بمجموعة كبيرة من الأحاديث الشريفة التي بلغت بمجموعها حدّ التواتر ومن أشهرها ما يلي:

حديث أبي هريرة – ﷺ –، قال: قال رسول الله – ﷺ –: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة – إن شاء الله – من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا) رواه مسلم، ولا شك أن من زنى أو سرق أو شرب الخمر لم يشرك بالله فهو ممن تناله الشفاعة إن شاء الله.

عن جابر بن عبد الله – ﷺ – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي) [٢] .

(١) انظر التفسير الكبير:فخر الدين الرازي ٦٣/٣
(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

ولو كانت الشفاعة للمؤمن التائب المطيع المقلع عن المحرمات، الملتزم بأداء الطاعات والعبادات، لم يكن لشفاعته معنى إلا الرغبة إلى الله عز وجل في أن لا يظلمه ولا يجوز عليه ولا يسفه بعقابه، وذلك لأن عقاب من هذا شأنه ظلم وسفه على حدّ زعم المعتزلة .

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ : "إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يُؤتى به يوم القيامة، فيُقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتُعرض عليه صغار ذنوبه، فيُقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مُشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيُقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: ربّ قد عملت أشياء لا أراها ها هنا"، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه"[(١)].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : "إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلون الجنة"[(٢)].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: "يخرج قوم من النار بعدما مسّهم منها سَفْعٌ، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين"[(٣)]

عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ»، قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ < وَفسّر الثعارير بالضغابيس، والثعارير: رُءُوس الطراثيث تكون بَيْضَاء، شبهوا بِهَا فِي الْبيَاض، قَالَ ابْنُ الْأَعرَابِي: الثعرور: قثاء صغَار، وَهِيَ الضغابيس،والثعرور فِي غَيْرِ هَذَا: الثؤلول، وَيُقَال: الضغابيس: هَنَات تنْبت فِي أصُول الثمام طوال رخصَة تُؤْكَل. قَالَ: «الضَّغَابِيسُ "الضغابيس": صغار

(١) أخرجه مسلم، ص١٠٣ برقم ١٨٥، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشفاعة.
(٢) أخرجه مسلم، ص١٠٥ برقم ١٩٠، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة منها
(٣) أخرجه مسلم، ص١٠٦ برقم ١٩٠، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة منها.

القثاء، قاله ابن الأعرابي، وقال أبو عُبيد: هي شبه قثاء صغير تؤكل -يعني الضغابيس-، وهي الشعارير أيضًا -بالشين-، وقال الأصمعي: الضغابيس: نبت ينبت في أصول الشَّمَّام يشبه الهليون، يُسْلق ويؤكل بالخل والزيت. > وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ» فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ» قَالَ: نَعَمْ ".(١)

وعن أنس بن مالك – ﷺ– أن رسول الله – ﷺ – قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)(٢).

فهذه الأحاديث وغيرها تثبت صراحة الشفاعة في أهل الكبائر، إلا أن المخالفين ردوا هذه الأحاديث بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد، وأنها على فرض صحتها محمولة على رفع الدرجات وزيادة الثواب.

والجواب عن ذلك أن يقال: كيف يصح حمل الشفاعة في الأحاديث السابقة على زيادة الثواب ورفع الدرجات؟! وهي مصرحة بخروج المذنبين من النار، وأن خروجهم يكون بشفاعة الشافعين، وأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، كل ذلك يرد هذا التأويل ويبطله، أما دعوى أن أحاديث الشفاعة أحاديث آحاد فدعوى مردودة على أصحابها، إذ قد نص أهل العلم على تواترها.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري": إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٥٨ كتاب الإيمان، باب أدنى الجنة منزلة فيها، ومسلم رقم ١٩١،كتاب الرقاق، باب صفة الجنة،والثعارير: قثاء صغار.والضغابيس:جمع ضغبوس نبت يخرج في أصول الشجر والإذخر لا ورق له وفيه

(٢) رواه البخاري ومسلم

ﷺ" (١).

ويقول الإمام الجويني:إن الشفاعة شهدت لها السنة التي بلغت الاستفاضة، وهي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر، وأن الأخبار المأثورة شاهدة بتعلق الشفاعة بأصحاب الكبائر (٢)

ويقول الإمام الباقلاني : وَالْأَخْبَار فِي الشَّفَاعَة أَكثر من أَن يُؤْتى عَلَيْهَا وَهِي كلهَا متواترة متوافية على خُرُوج الْمُوَحِّدين من النَّار بشفاعة الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَآله وَإِن اخْتلفت ألفاظها فَفِي بَعْضهَا أَنهم يخرجُون بعد مَا امتحشوا فِيهِ وصاروا فحما وَفِي خبر أَنهم يخرجُون مِنْهَا ضبائر ضبائر فيلقون فِي نهر الْحَيَاة فينبتون كَمَا تنْبت الطراثيث والحبة فِي جميل السَّيْل وَأَنَّهُمْ يدْخلُونَ الْجنَّة مَكْتُوبًا على جباههم الجنميون وَفِي خبر آخر عُتَقَاء الله من النَّار وَأَن آخر من يخرج من النَّار رجل يَقُول فِي النَّار يَا حنان يَا منان .

وَقد أطبق سلف الْأمة على تَسْلِيم هَذِه الرِّوَايَة وصحتها مَعَ ظُهُورهَا وانتشارها وَالْعلم بِأَنَّهَا مروية من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَلَو كَانَت مِمَّا لم تقم الْحجَّة بهَا لطعن طَاعن فِيهَا بِدفع الْعقل والسمع لَهَا على مَا يَقُوله الْمُعْتَزلَة ولكانت الصَّحَابَة أعلم بذلك وَأَشد تسرعا إِلَى إنكارها وَلَو كَانُوا قد فعلوا ذَلِك أَو بَعضهم لظهر ذَلِك وانتشر ولتوفرت الدَّوَاعِي على إذاعته وإبدائه حَتَّى ينْقل نقل مثله وَيحل الْعلم بِهِ مَحل الْعلم بِخَبَر الشَّفَاعَة لِأَن هَذِه الْعَادة ثابته فِي الْأَخْبَار وَفِي الْعلم بِفساد ذَلِك دَلِيل على ثُبُوت خبر الشَّفَاعَة وَبطلَان قَول الْمُعْتَزلَة إِن الغفران بَاطِل بِالْعقلِ وَمُوجب لتكذيب السّمع وَغير ذَلِك مِمَّا يَدعُونَهُ (٣).

---

(١) الإبانة: أبو الحسن الأشعري ٢٠/١

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: أبو المعالي عبد الملك الجويني ٣٣٠-٣٣١

(٣) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص للقاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: عماد الدين أحمد حيدر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م : ١ / ٤١٨ ويراجع تبصرة الأدلة ٢/ ١٠٦٦، ١٠٦٧، تأليف: أبو المعين النسفي، تحقيق: د/ محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠١١ه، شرح المقاصد١٥٧/٥، ١٥٨، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٨م. ، ومجموع

ومما سبق تبين أن الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ثابتة للنبي ﷺ وتثبت عندهم لمن فعل كبيرة من الكبائر تاب عنها أم لم يتب.

وأما المعتزلة ومن وافقهم فهم ينكرون هذا النوع من الشفاعة ولعل الذي دعاهم إلى إنكار الشفاعة منافاتها لخلود صاحب الكبيرة في العذاب الذي هو مذهب جمهور المعتزلة الذين فسروا قول واصل بن عطاء بالمنزلة بين المنزلتين، بمعنى إعطاء العاصي حكم المسلم في الدنيا وحكم الكافر في الآخرة، ولا شك أن الشفاعة تنافي هذا الأصل، فما تمسكوا من الآيات إنما هو لقصد التأبيد ومقابلة أدلة أهل السنة بأمثالها .

فمرجع الخلاف بين أهل السنة والجماعة من جانب والمعتزلة من جانب آخر حول مسألة الشفاعة هو أن مرتكب الكبيرة الذي مات على كبيرته ليس مؤمناً عند المعتزلة فلا يكون أهلًا للشفاعة، أما أهل السنة والجماعة فيرون بأنه مؤمن فيكون من أهل الشفاعة.

والفرق بين مذهب الخوارج والمعتزلة هو: أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، أي: أنه في الدنيا لا كافر ولا مؤمن، أما في الآخرة فهو مخلد في النار، أما الخوارج فقالوا: صاحب الكبيرة كافر في الدنيا والآخرة، وهو مخلد في النار، فيفترقان في الاسم فقط، لكنهما يتفقان في الحكم عليه بالخلود في النار، وبالتالي عدم قبول الشفاعة له.

الفتاوى١ / ٣١٨ ، ويراجع: شرح المواقف ٣٤١/٨، تأليف: السيد الشريف على بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

فهرس لأهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الأربعين في أصول الدين، تأليف: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط ١، ١٤٠٦ه.

٢. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: الإمام أبي المعالي الجويني، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٠م.

٣. الأصول الخمسة- ضمن رسائل العدل والتوحيد، تأليف: القاسم الرسي، دراسة وتحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٤م.

٤. أصول الدين، تأليف: الإمام يحي بن الحسين الهادي، مكتبة اليمن الكبرى- صنعاء، بدون تاريخ.

٥. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٦. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، تأليف: الشيخ يحي بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٩م.

٧. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: القاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢، ٢٠٠٠م.

٨. تبصرة الأدلة، تأليف: أبو المعين النسفي، تحقيق: د/ محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠١١ه.

٩. تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تأليف: برهان الدين إبراهيم الباجوري، تحقيق: أ. د/ علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٧، ٢٠١٤م.

١٠. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، تأليف: شمس الدين القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١١. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.

١٢. تفسير القرآن العظيم ، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامى بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

١٣. التمهيد لقواعد التوحيد، تأليف: أبو المعين النسفي، دراسة وتحقيق: د/ حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية– القاهرة، ط ١، ١٩٨٦م.

١٤. رسالة إلى أهل الثغر، تأليف: الإمام أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط٢، ٢٠٠٢م.

١٥. سنن الإمام أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر– بيروت، بدون تاريخ.

١٦. سنن الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي– بيروت، بدون تاريخ.

١٧. شرح الاصول الخمسة، تأليف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، حققه وقدم له: د/ عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة– القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

١٨. شرح المقاصد، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.

١٩. شرح المواقف، تأليف: السيد الشريف على بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠. الشفاعة في الحديث النبوي، المؤلف: عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق المحمدي، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير قدمت إلى الجامعة الإسلامية في بغداد عام ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٢١. الشفاعة في الكتاب والسنة، تأليف: الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٢. الشفاعة، المؤلف: أَبِو عَبد الرَّحمَن مُقْبل بن هَادِي الوادعِي، الناشر: دار الآثَار للنشر

٢٣. صحيح الإمام البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٤. صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه.

٢٦. الفرق بين الفرق، تأليف: الإمام أبي منصور عبدالقاهر البغدادي، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا- القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧. لسان العرب، تأليف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر- بيروت، ط ٣، ١٤١٤ه.

٢٨. اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، تأليف: جمال الدين مقداد عبدالله الأسدي السيوري، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، تبريز- إيران، ط١، ١٣٩٤ه.

٢٩. مختار الصحاح ، تأليف: محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٩٩٩م.

٣٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أبى بكر أيوب الزرعي، تحقيق: د/محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م.

٣١. مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،

مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١ م.

٣٢. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، ١٩٥٧ م.

٣٣. مفاتيح الغيب، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٠م .

٣٤. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط ١، ١٤١٢ه.

٣٥. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية– صيدا– بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.